

إيزو (الجزء الأول)

حسن بشيري

اليوم هو اليوم السادس و العشرين من شهر رمضان , أي ما أعني أن العيد قريب , في حالي كنت الوحيد في البيت و أختي اللذان لم يصوما , لأنهما لم يبلغا سن التكليف بعد .

إسمي هو حمزة , عمري قرابة العشر سنوات , أعيش في عائلة بسيطة , أبي أحمد يعمل كفلاح مع جدي الحسن في أرضه , جدي كان شخصا ذا هممة كبيرة بين كل الأشخاص داخل البادية التي أقطن بها , أختي كوثر في السابعة من عمرها و هذا هو عامها الأول في المدرسة , أمي هناء , امرأة طويلة , وجهها نحيف , شعرها أسود , عيناها بنتان , عمرها نحو السادس و الثلاثين , جدتي المحبوبة عندي زهور , التي قاربت الخامسة و السبعين , كنت أنتظر العيد بفارغ الصبر , أنتظر هدية ستأتي لي , هدية لا يمكن نسيانها إطلاقا , العيد الماضي أحضر لي جدي سيارة التحكم عن بعد , كسرتها بعد شهرين , أحزنني الأمر كثيرا , لكنه وعدني بشيء لا يمكن كسره , شيء رائع حقا , سأشكره كثيرا عليه , ولحد الساعة أنا متحمس , و حماسي يزداد كل يوم خصوصا بقرب عيد الفطر .

كنا أنا و أختي نلعب خارجا في الحقول بينما نرى أبي و جدي و هم يقومون بعملهم , اللون الأخضر يسيطر على المكان , صوت العصافير , كانت قرابة العاشرة صباحا , جلسنا بأحد الأماكن المحاطة بالعشب , إستلقينا على ظهورنا , نحدق في السماء , أختي بخصلات شعراتها البنية , تلامس خصلات شعري

السوداء , سألتها " ماذا تردين أن تصبحي في المستقبل " قالت " ممرضة , أم
طبيبة , لا فرق بينهما " قلت " لا , هناك فرق " قالت " ما هو " قلت " لا
أعرف , إسألني أمي " قالت " و ماذا عنك ؟ " قلت " محامي " قالت " ماذا يعني
هذا ؟ " قلت " شخص يدافع عن الأشخاص الذين سيتم زجهم في السجن "
قالت " هذا جيد " سمعنا صوت نداء أبي و جدي لنا , قمنا من مكاننا ثم توجهنا
إليهم و عدنا بعدها للبيت , طلبت منا أمي مساعدتها في حمل الملابس معها
للخارج ثم أخبرتنا بعد ذلك بأن لا نبتعد كثيرا , وافقنا , ثم خرجنا , بجانب
بيتنا , جارنا سعيد الذي لا ينطبق عليه هذا الإسم إطلاقا , سعيد هذا يكره
الأطفال , يمكنك إعتباره على أنه أسوء جار لك , و انا في هذا العمر كنت
أتلقي نظراته السوداوية , كنا نتحاشى اللعب بجانب بيته , ففي أحد المرات ,
بينما نلعب الكرة أنا و أختي , و بالخطأ جاءت في بيته , خرج و معه سكين ,
وقام بقطعها أمام أعيننا , شعرت حينها بحزن كبير , أخبرت جدي و أبي بذلك
, غضب جدي , ذهب إليه ثم صرخ في وجهه , بعدها توقفنا عن اللعب قرب
بيته , هذه المرة خرجنا من بيتنا , ثم لمحنا و اعطانا تلك النظرات , كان للبيت
وجهان , وجه يقابل الجار سعيد , ووجه يقابل الطريق و التي توجد الجنان
ورائها , عدنا بعدها للبيت ثم خرجنا من الباب المؤدي للوجه الثاني , اليوم هو
الاحد , غدا سأذهب للمدرسة أنا و أختي , لعبنا قليلا خارجا ثم عدنا مع موعد
أذان المغرب للبيت , قمنا وفطرنا مع العائلة التي كانت صائمة , بعد صلاة
العشاء وضعنا أنا و أختي قماشة على محادة الحائط و بدأنا نصنع الضلال
بواسطة أيدينا , كان الأمر ممتعا حقا , أخبر أبي جدي أن سعيد اراد أخذ

المنجل بدون علمه , قال أنه أبعدہ , ضحك جدي و قال " سعيد هذا , متى يتوقف عن مضايقتنا , متى ؟ " ذهبت أنا و أختي لغرفتنا لننام , بعد أن أنجزنا كل تماريننا .

الإثنين (أربع أيام على بعد العيد)

يوم المدرسة , نهضنا , غسلنا وجهنا , ثم قمنا للفقور , بعدها أخذنا أبي و معه جدي للمدرسة , وصلنا هناك دخلنا الصف نادي نشيد الوطن , ثم ذهبنا بعدها لأقسامنا , جاء المعلم محمد , دخل القسم , وضع محفضته على المكتب , أخرج طبشور من الدرج , و أخذ يكتب التاريخ معه عنوان الدرس , نظر إلينا و قال أنه ذاهب للإدارة و سيعود بعد قليل , قم يا كريم و أكتب على السبورة من يتكلم أو يتحرك من مكانه , خرج المعلم , رأيت كريم و هو يقوم بكتابة بعض الأسماء , كنت أحرص على أن لا أكون منهم , بعد مدة قصيرة عاد المعلم , نظر إلى الأسماء , اخذ كل منهم ضربة بأنبوب قنينة غاز , كان هذا الأنبوب أكثر شئ يخيفنا , ثم بدأ في الدرس , قال " الحب بالنسبة لكم , حبكم لعائلاتكم , أمهاتكم , أبائكم , أخواتكم و كل أفراد عائلاتكم " قلت " أستاذ ؟ و

ماذا عن الشخص الذي لا يملك عائلة أهو مكروه ؟ "قال" يوجد ما هو أسوء من الكره يا حمزة , لكن لا , هو ليس مكروها , مثلا , لنأخذ مقياسا , يكون الحب هو أولهم , ثم ننزل إلى الإعجاب و ثم إلى الشعور بشكل عادي إتجاه الشخص , ثم نتدنى إلى الكره , ثم إلى النسيان , فالنسيان يا حمزة هو ما يصيب الشخص بدون عائلة , فلا مفر لنا منه , سينسك الناس سريعا بعد أول يوم لك في قبرك" بدت الكلمات التي يقولها غير مفهومة , قال , الوقت ليس مناسباً لتفهموا كلماتي لكن , في يوم سيأتي الوقت و التي لن ينجيكم فهمكم لهذه الكلمات من هذا المصير , نظر المعلم إلى ساعته , فترة الإستراحة , خرجنا من القسم و إلى الساحة , نلعب , كنت أرى الأشخاص الذين يدرسون بالسنة السادسة كيف أتحت لهم الفرصة للعب كرة القدم بينما نحن لا , أتمنى في يوم أن أصير كبير , أو أصير في عمر السابع عشر , أعيش كالكبار , أتمنى ذلك حقا .

رجعنا بعد الظهر للمنزل , جلسنا , أنا و أختي ننتظر غداً ونحن نشاهد التلفاز , مسلسلي الكرتوني المفضل سيبدأ بعد قليل , أحضرت أمي الغذاء , كان عبارة عن بطاطاس مع قليل من الدجاج والبزلاء , ما تبقى من السحور , تغذيت أنا و أختي , ثم جلسنا نشاهد التلفاز بينما ذهب الكل للنوم , جو جميل حقا , وصل أذان العصر , نهض كل من كان في المنزل , ناداني أبي للصلاة معه و جدي , ثم خرجنا بعدها للخارج , سماء يعتليها السحاب مبشرا الفلاحين بعام زراعي وافر , لم تمضي سوى قرابة شهرين منذ آخر سقوط للمطر , ظل حوالي أسبوع كامل و هو يسقط , كنت أخاف من الرعد , صوته يرعيني

كثيرا , أخاف أن يصعقني , ذلك الأسبوع كان كفيلا بجعل المروج خضراء , و الأزهار حمراء , و السماء صافية زرقاء , و وجوه الفلاحين باشرة , كان على بعد أذان المغرب نصف ساعة , كنت مع أبي و جدي بجنان البرتقال يقومان بسقيهم , نظر إلي جدي بينما كنت أحرق لإنعكاس الأشعة المتبقية من الشمس على الماء , جاء إلي بينما ترك أبي يسقي , جلس بجانبني , قال " أترى أباك , وهذا العمل الشاق " قلت " نعم " قال " عليك أن تدرس لتجعل الحياة سهلة لمثل هاؤلاء " قلت " و حين أدرس ساذهب إلى الأشخاص الذين أشاهدهم بالتلفاز " قال " نعم , يمكنك ذلك " قلت " حقا؟ " قال " نعم , لكن الأهم هو أن تكون شخصا فاعلا بالمجتمع " قلت " ما معنى ذلك ؟ " قال " كن طبيبا , مهندسا , شرطيا , أي شيء سيساعد هذا المجتمع " قلت " ماذا عن محامي " قال " المحامي , مهمته في الحفاظ على الأبرياء خارج السجن وليس سجن الأبرياء و إطلاق سراح المجرمين , أنت تختار , فلا تجعل المال يعمي بصيرتك عن الحق و لو كان كثيرا , الشخص الذي يمكن لأي شخص شراء كل ما يملكه من صدق و أمانة و حب و خير فهو شخص رخيص " قلت " فعلا؟ " قال " نعم , أترى لو أن أباك قام و أنهى دراسته لما وجدته هنا يقوم بكل هذه الأعمال " قلت " هل هذا العمل سيء؟ " قال " لا , العمل السيء هو العمل الحرام الذي يعد مالك فيه حراما , أما عمل كهذا بعرق الجبين الحلال , فهو عمل جليل , ما أكثر ما يهتم الشخص في إختيار عمله , ليس مقدار راتبه , بل مقدار السيئات منه أو الحسنات " قلت " أه " قال " أظن أنني قد ظغطت عليك بهذا الكلام ؟ " قلت " لا " قال " حسنا , لنذهب حان أذان المغرب " جاء أبي ثم

ذهبنا كلنا , وصلنا مع اذانه , أكل كلا من أبي و جدي تمرة ثم أتبعها بكأس من الماء , صلينا المغرب , ثم إتفنا حول الطاولة , جدتي و أختي , أنا و جدي , أبي و أمي , بدأنا نأكل ما أعدت أمي و جدتي من طعام , جدتي و في سنها هذا لازالت تقدر على المشي , أنهينا الفطور , دعاني أبي للذهب معه و جدي إلى المسجد لصلاة التراويح , وافقت ثم ذهبنا , يبعد المسجد نحو كيلومتر واحد , وصلنا إليه بالسيارة , دخلنا , صلينا العشاء و التراويح , ثم عدنا بعدها للبيت , بدأنا أنا و أختي نلعب , أقوم و أندس قفقوم هي و تبحث عني , بعدها قمنا و دخلنا الغرفة ثم إستعددنا للنوم .

الثلاثاء (ثلاث أيام على العيد)

كما العادة , نهضت و غسلت وجهي ثم فطرت وذهبت للمدرسة , أنا و أختي بواسطة سيارة جدي , وصلنا , قمنا بالنشيد , ثم توجه كل واحد منا إلى قسمه , جاء المعلم محمد متأخر هذه المرة , دخل , ترك محفضته على المكتب , أمسك طبشورا , عنوان الدرس , التاريخ , سمعنا صوت أقدام خارج القسم , كان المدير رفقة أحد التلميذات الجدد , شعرها البني القصير و عيناها البنيتان , دخلت رفقة المدير , ثم جلست ورائي , خاطبنا المدير قائلا " هذه صديقتكم الجديدة ليلي , فالترحبوا بها " بعدها خرج و معه المعلم , إستدرنا أنا و اصدقائي إليها , سألناها عن عمرها , من أين هي , قالت " عمري تسع سنوات , جئت من الناظور إلى هنا , وماذا عنكم " قال صديقي , عمري عشر سنوات , انا من هنا , قلت عمري عشر سنوات أيضا و أنا أيضا من هنا ,

إسمي حمزة و إسمه يوسف , دخل المعلم و بدأ بشرح الدرس لنا , شعرت بالملل قليلا من ما كان يقول , كلفنا بقراءة النص بينما خرج .

رجعنا بعدها للبيت , وجبة السحور كغذاء لنا كالعادة , أنا و أختي نتغذى ثم نشاهد التلفاز , لكن اخذني النعاس , و لم أكمل المشاهدة , أفقت مع أذن العصر , صليت , ذهبت مع أبي و جدي إلى الجنان , عدنا بعدها للبيت , فطرنا بعد صلاة المغرب , ذهبنا بعدها لصلاة التراويح ثم عدنا بعدها , وفي الليل خلدت إلى فراشي .

الأربعاء (يومان)

يبدو أن اليوم مبشر بغزارة المطر , أخذت مظلتي , توجهنا بعدها إلى المدرسة , القسم , حين بدأت القطرات تنزل , كنا نكتب حين طلبت مني ليلي قلما , ناولتها إياه , شكرتني , أكملت بعدها الكتابة , و القطرات أصبحت مطرا , رن الجرس ثم خرجنا بعدها إلى الساحة بعد أن خف المطر قليلا , كالعادة نلعب , حتى الفتاة الجديدة تلعب معنا , أكملنا الإستراحة و الدراسة , ثم عدت للبيت كالعادة .

الجمعة (غدا العيد)

يوم الجمعة يوم إستثنائي و ليس كباقي أيام الأسبوع, ذهبت مع أبي و جدي إلى المسجد , لنصلي صلاة الجمعة , عدنا بعدها للبيت , أخذت غداء أنا و أختي , ثم بقينا نشاهد التلفاز , أذن العصر , آخر يوم في رمضان .

السبت (العيد)

إنه يوم رائع حقا , يوم العيد , أنا متحمس للهدية , هدية أرجو ان تكون مختلفة عن باقي الهدايا التقليدية , أفقت باكرا , ذهبت مع أبي و جدي إلى المصلى , لنصلي صلاة العيد , بعد أن أفطرنا مجموعين , بينما أنهينا الصلاة الكل بدأ يسلم على الكل , كنت بجوار أبي , أسلم على من يسلم هو , ركبنا بعدها السيارة , وقبل رجوعنا للبيت , قرر جدي الذهاب إلى أخته فاطمة , أخته الكهلة , بظهرها المعوج الماسكة بعصا تساعد على المشي , يبلغ عمرها تقريبا قرابة الثمانين , وصلنا إليها , عانقت جدي , ثم سلمت علينا , نادى على ابنتها مريم , جاءت ثم سلمت هي الأخرى , دخلنا الصالة , كان جدي و أبي و عمته يتكلمون بينما شعرت أنا بالملل , خرجت من الصالة ثم ذهبت إلى المطبخ مع مريم , دخلت عليها , كانت تعد الشاي , جلست , أعطتني أحد البسكوت , سألتني عن مستواي قلت الرابع ابتدائي , وسألت عن أختي , قلت الأول ابتدائي , قالت جيد , قلت " ألم تتزوجي بعد ؟ " قالت " ليس بعد , لكن لا تخف حين أتزوج ستكون أول من أقوم بدعوته " قلت " حقا " قالت " نعم " أمسكت صينية الشاي و أخذتها إلى الصالة , ذهبت معها , جلست قرب أبي , وهي تسكب الشاي لنا , و بعض الأكل , أكملنا , ودعناهم ثم خرجنا , ركبنا السيارة و قصدنا باقي المنازل التي علينا ان نسلم عليها , بعدها رجعنا إلى البيت , سلمت على أمي و أختي و جدتي , إسدرت ورائي ولم أرى أبي و جدي , سألت أمي عنهما , قالت أنها لا تعرف , خرجت من المنزل أبحث عنهم حتى سمعت صوتا , كان أتيا من المنزل و من وسطه , صوت حمل

صغير , رجعت بسرعة إلى البيت , رأيت أبي و جدي , و الكل ينظر إلي , هتفوا جميعا , نعم إنها الهدية , لم أكد أصدق عيناى , أنا أحلم , لا إنها حقيقة , إنه خروف صغير , إقتربت منه , لمست فرائه الناعم , نظرت إلى أبي وقلت " سأسميه إيزو" قال " جيد" عانقت جدي ثم أبي ثم خرجت معه , لم يكن يتفاعل معي كثيرا , كنت أحاول التواصل معه , تعبت من الأمر و عدت إلى البيت , جاء أحد الجيران ليبارك لنا العيد , بالظبط لم يكن سعيد , فهو الشخص الوحيد الذي لم يأتي أي شخص عنده , هو شخص وحيد , منذ أن ماتت ... أه إنه يوم العيد , و لا يجب علي التلفظ بمثل هذه العبارات , إنه يوم فرح , و ليس قرح , دعني أستمتع به , و أستمتع بالهدية التي أحضرها لي جدي .

وصل موعد الغداء , تغدينا , ثم ذهب الكل ليخلد في النوم بينما و أختي كوثر , كنا نشاهد التلفاز , مع أذان العصر خرجت إلى الحضيرة , ذاهب إلى إيزو , وجدته و أمه هناك , كنت أنظر له من بعيد , جاء عندي , نزلت قليلا , نظرت إلى عينيه الجميلتين , قررت فتح الحضيرة لأخذه معي , إندفع نحوي هذه المرة , ذهبنا إلى الجنان , نجري و نلعب , كان يلاحقني , كنت أقضي أفضل الوقت يمكن للمرئ أن يحضى به , عينا إيزو البريئتين , و جسمه الهجين , يجعلانه لطيفا و جميل , يا لجماله , سأشكر جدي ما حييت , امسكت رجليه الأماميان في حركة غريبة و بدأنا نرقص , أول شخص يرقص مع خروف صغير , يا لها من حياة , و يا له من خروف , عدت بعدها إلى المنزل مع أذان المغرب , جاءت إلي أختي , قالت أنني لم أعد أريد اللعب معها ثانية و أن كل

ما أفعله هو اللعب مع إيزو , أحزنها الامر كثيرا , قلت لما لا تلعبين معنا ؟
قالت . حقا ؟ قلت نعم . قالت رائع .

الأحد

إلى الشاطئ أخذنا جدي , أنا و أبي و أختي و إيزو , نزلنا , بدأ الكل يحدق فينا ,
جرينا بعض الوقت الثلاثة بنا , أحس أنه أخ لي , يا كم اتمنى إمتلاك اخ ,
أظن أن إيزو بمثابةه الآن , جلسنا مع أبي و جدي , خلعت ملابسني , دخلت
البحر أنا و أختي , لكن إيزو إكتفى بالتحديق فقط , نرش الماء على بعضنا ,
أقوم و أغطس تحت الماء و أفاجئها كقرش يصطاد فريسة , شعرت بالتعب
قليلا فخرجت من البحر رجعت إلى أبي و جدي , شعرت بإيزو و هو يلامسني
برأسه , ربما أراد شيئا , قال جدي أنه يريد اللعب , قلت حسنا هذا جيد ,
إرتحت قليلا نظرت إلى إيزو قلت هيا , بدأت أجري و هو يلاحقني نجري
على الشاطئ و الهواء العليل , يلامسني , سمعت صوت صراخ , إلتفتت ,
كانت أختي , عدنا بسرعة إليها , وجدنا أبي قد ذهب إليها , كانت على وشك
الغرق , دخلت لأساعد , أخرجنها من البحر , ثم وضعناها على الشاطئ بينما
كانت تنهد بسرعة , جاء إليها إيزو و بدأ يداعبها , رأيتهما تقوم بلمس يدها على
رأسه و تقوم بفركه , جلست بجانبها , إيزو وسطنا , أنتي بخير , قالت نعم ,
كنت على وشك الغرق أيها الأحمق قلت , هذا لأنكي إبتعدتي كثيرا , قالت ,
أردت ان اجازف قليلا , أردت , قلت , حقا ؟ قالت , لا عليك خذ هذا الفتى
الصغير من هنا , إيزو , لماذا ؟ أيزعجكي ؟ قالت , بالعكس لا , أظنني أحبه
أيضا , مثلك , ما قصدت أن تبعده قليلا , إنني اشعر بحاجة للراحة , قلت ,

عدنا لدراسة بعد العيد , ذلك اليوم أوصلني أبي باكرا للمدرسة , وجدت أصدقائي , بعض من يدرس معي أيضا , وجدت ليلي هناك أيضا , جاءت إلي بعد أن أخبرتني بغية إستفزازي , أنت ولد سيئ , أنت شقي , كنت أجري و أحاول الإمساك بها , حتى تحول الأمر إلى لعب , دخلنا بعده المدرسة , كنت انا الشخص الوحيد بالمدرسة الذي كان يعجبها اللعب معه كصديق , كانت فتاة لطيفة , حين كنا نلعب و لا يريد شخص إدخالنا لألعب كانت تأتي و تقول , أن يتركوني , تترجى , فألعب , شخصية طيبة مثلها , فالقسم , كان المعلم يجلس فتى مع فتاة , حظي الوافر جعله يختارها لتجلس معي , الجلوس معها , كان أفضل من الجلوس مع اصدقائي , صراحة , لم احضر قلمي الأزرق هذا اليوم هل بإمكانكي إن كان لكي قلم آخر ازرق أن تعطيني إياه , قالت نعم أملك واحد اخر , يمكنك إستعماله , أعطتني قلما أزرق , و نحن في مادة اللغة العربية , كلفنا المعلم بالكتابة عن أفضل شئ حصل في حياتنا , الكل بدأ يكتب لما فيهم , أنهينا , وقف أحد أصدقائي , و بدأ يحكي قصته مع دراجة أهداها له عمه , ولد آخر يتكلم عن لعبة إشتراها له أبوه , جاء دوري قمت إلى السبورة

"سيداتي و سادتي أمتلك افضل جد فالعالم , هديته لا يمكن نسيانها , أحبها جدا , أهدالي جدي خروف بمناسبة العيد , سأكون شاكرا له , أما عن إيزو خروفي المحبوب الصديق الحميم , أفضل ما يمكن للمرء الحصول عليه , أحبه جدا , قد اعتبره كأفضل صديق بين الكل , أحبه كثيرا " نظر إلي المعلم , قال " لا يمكن للمرء مصاحبة خروف يا حمزة " قلت , لا بل يمكنه , قال , حقا؟ قلت , نعم , انا اعتبره كصديق عزيز علي , أحبه فعلا , إيزو أفضل صديق ,

قال , لا , الحيوانات لم تخلق لل صداقات , أفهمت , الكل هنا يجب أن يعرف ,
الحيوانات ليست صديقة لنا , هذا خطأ كبير منك يا حمزة , إيزو هذا مجرد
خروف عادي , قلت , لا ليس كذلك , هو مختلف , أرى فيه كل ما أريد , أحبه
, قال , هذا في غاية الحزن أن يصل بك الأمر في الوحدة أن تصاحب
خروف , قلت , أنا لست وحيد , إيزو أعتبره كصديق قال , الكلام ليس معك
لكن مع أبيك , هل من الممكن حضوره غدا , قلت , حسنا , عدت بعدها إلى
مقعدتي , نظرت إلي ليلي وقالت , أحقا أنك مصاحب خروفا ؟ قلت , نعم , قالت
, هذا غريب , قالت , ما قاله المعلم قاسي عليك صحيح , قلت , أه نعم ,
قالت , ماذا ستفعل ؟ قلت , سيأتي أبي غدا , قالت , كيف هو هذا الخروف ,
قلت , صغير ليس كبيرا جدا , لكنه ومع هذا فهو جميل و رائع , قالت , أظن
ان علي إمتلاك واحد أيضا , قلت , سيكون ذلك رائعا حقا , أكملنا الدرس ثم
خرجنا في إراحة , كنت مع أصدقائي , الذين بدؤو يضحكون علي بسبب ما
قاله المعلم , إنصرفت , لم أرد ان أجلس معهم , أكملنا بعدها اليوم ثم عدنا
للبيت .

نهاية العام الدراسي ربح قد يكون محزن لي فراق ليلي , أفضل فتاة قابلتها ,
سيأتي الصيف , و من ناحية أخرى سأفرح لأن العطلة ستبدأ , سأقضي أفضل
صيف في حياتي كلها .

أخبرت أبي عن ما قاله لي المعلم , غضب جدي وقال أنه سيرافقه , قال , أن
هذا الكلام الذي قاله المعلم لي ليس مناسبا لفتى في سني , قال أنه من المخطئ
مخاطبة فتى في مثل سني لمثل هذا النوع من الكلام , الذي يجعله , يحزن لأنه

يمتلك خروفا لطيفا , يحبه , الصداقة لا تحكم بالأجساد , إنما بالأرواح , أظن أنك يا حمزة وجدت راحتك مع هذا الخروف الصغير , سأذهب مع أبيك غذا عنده , نريه كم هو مخطئ , حسنا .

الغد ذهب أبي رفقة جدي إلى المعلم , كنت بالفصل بينما كانا هما خارجا , خرج المعلم لهم , دعاني المعلم أيضا للخروج , خرجت , قال له أبي , سمعت أنك قلت للولد بشأن الخروف , قال المعلم , نعم يحسبه كصديق له و هذا أمر غير طبيعي , قال , ألم ترى امرا كهذا من قبل , قال , لا لا أظن ذلك , قال له جدي , أنا إشتريت له هذا الخروف ليكون صديقا له بدلا من الصبية هنا , قال المعلم , لكن هذا أمر سيئ , قال , لا بل بل العكس , الحيوانات تعلمنا , الوفاء , الحب , والذي لا يعطى ممن طرف البشر , صمت المعلم قليلا , قال جدي , هذا حفيدي , و أنا أعرف ما أفعل إتجاهه لذا أرجوك لا تكسر خاطره مرة أخرى , كلماتك كانت قاسية على قلبه , جعلته يحزن كثيرا , فمن فضلك لا تكرر ذلك , أنا أعترف بصداقة إيزو لحمزة , اعجبتي هته الصداقة جيدا , أفهمت , قال المعلم , حسنا , لا دخل لي بأمور العائلة , ذهب كلا من أبي و جدي ثم دخلت القسم مع المعلم , جلست بمقعدتي قرب ليلي , سألتني , مالذي جرى ؟ قلت لا شيء , قالت , لا هناك شيء , قلت , الامر بخصوص الخروف إيزو , جاء أبي و جدي ليخبر هذا المعلم بالحقيقة , قالت , الحقيقة ؟ , قلت , نعم , حقيقة أن إيزو صديقي , قالت , و ماذا كانت ردة فعل المعلم ؟ قلت , ما عساه يفعل سوى الصمت , قالت أوه حقا , قلت نعم , طلب المعلم من كل واحد منا العمل على رسمة , كان علي العمل مع ليلي , أمسكنا

الورقة , أمسكت أقلامها الملونة , و انا أقلامي الملونة , و بدأنا بالرسم , الأزرق للنهر , الأصفر و الأحمر للشمس , الأخضر للمروج , وماذا عن المنزل ؟ قالت أظنه بالبرتقالي , قلت , لا , اللون الرمادي سيكون رائعا , قالت , لا يمكننا تلوين المنزل باللون الرمادي إطلاقا , قلت , لكن اللون البرتقالي ليس لائقا كلون له أيضا , قالت , لكنه أفضل من فكرتك , قلت , أوتظنين فكرتي أفضل ؟ قالت نعم , قلت حسنا , سأرسم وحدي ما أشاء قالت , حسنا , إستدار كل واحد منا , لا أحد يكلم الآخر رسمت البيت باللون الرمادي , كما أشاء , لونت منزلها باللون البرتقالي , أكملنا بعدها الرسم , ناولناه للمعلم , قال أنه سيقبل واحدة فقط , أعطته هي الرسمة , و بقيت رسمتي لدي , عدنا للمقعد , شعرت بالغضب منها , حان موعد الإستراحة خرجنا , ثم في الإستراحة ذهبت إليها وقلت , لقد رفضتي رسمتي لماذا , قالت , أترى لو أننا عملنا... قلت لماذا؟ قالت , انت أردت المنزل باللون الرمادي , قلت وليكن , قالت , لا يمكن للبيت أن يكون باللون الرمادي , اللون البرتقالي أفضل منه بكثير , غضبت منها ثم إنصرفت , عدنا بعد من الإستراحة , جلست في المقعد و وهي أيضا لم يرغب أحد بالنظر بوجه الآخر .

عدت إلى المنزل , و لا يزال الجرح لم يشفى بعد , كنت مغطيه بواسطة قميص حتى اليد , أنهيت اليوم ثم نمت .

الأربعاء

يوم جديد في هذه المدرسة , دخلنا القسم و أول ما قمنا به هو قراءة للنص , لم يكن لليلي كتاب تقرأ فيه من غير كتابي , لم أرد ان اعطيه لها لكن خفت المعلم , ووضعتة وسط الطاولة , الكل كان يقرأ و هو يستدير حول كل صف , و بيده عصا , أكملنا القراءة , بعدها ثم قمنا بالكتابة على الدفتر , شرح لنا الدرس , ثم خرجنا للإستراحة بعدها , ذهبت مع أصدقائي لألعب , الكل كان يجري على الكل , كان صديقي كريم يلاحقني , إلا اني سقطت على الجرح , انفجر كبركان خامد , الدماء تسيل في كل مكان , كان الامر يشعرنني بالألم الشديد كأنك , قمت و أحضرت نارا و بدأت تحرقني بها , و أنا في ألمي رأيت ليلي أتية , لم يكن كرهى لها واقفا في طريقها , جاءت و حاولت إيقاف النزيف , و عيناها كعين ماء , تلج بمياه الثلج , قالت و هي تحاول السيطرة على الوضع , أنا أسفت حقا , جاء المعلمون بعدها , أخذوني إلى الإدارة , وقاموا بإعطائي مزيل الجروح ثم أعادوا الضمادة الجديدة لي , شعرت حينها بتحسن كبير حيال هذا .

كنت أرى نظرات حزن تعتلي ليلي , ذهبت إليها و قلت , أسف على ما حصل , سامحيني , قالت , لا مشكل نحن أصدقاء , عدنا إلى القسم , أكمل المعلم شرحه , ثم رجنا بعدها و إلى البيت .

كل يوم أعود إلى المنزل , أجد إيزو , نلعب معا , أستمتع حقا برفقته , إنه حقا لحيوان تستمتع برفقته .

(بعد أسبوعين)

ذهبنا في يوم الأحد لعمة أبي , لنراها و كيف حالها , وجدنا هناك إبنها , إسمه وسيم , أدخلونا المنزل , شربنا بعض الشاي , كنا نريد أن نعود لكنهم أأحو علينا الجلوس و الغذاء معهم , وافقنا , جلسنا هناك نتغذى , ثم عدنا بعدها للمنزل , العشية , كنت مع جدتي جالسا , نتحدث , تخبرني عن الزمان و عن جدي .

الجمعة

اليوم سنقيم حفلة نهاية السنة , يا له من يوم سعيد , ستنتهي الدراسة , الكل أأضر ما له من مشروبات , أأضرت فطيرة أعدتها أمي لي , قضينا معظم الوقت نضحك و نمرح , أأببت الجو هناك حقا , أأكلت بعض من ما أأضر أصقائي , و غدا لن أراهم إلى حين العام المقبل , كانت اخر مرة أألقى بها بليلي , و أودعها , إنها النهاية

السبت

مع نهاية الموسم الدراسي , ذهب أبي و جدي اليوم لشراء بقرة , فقررت مرافقتهما , ركبنا السيارة , ثم ذهبنا , وصلنا بعدها لذاك المكان , يوجد به الكثير من البقر , بقر أسود و أبيض , بقر بني , و آخر أسود , جاء إلينا الرجل المكلف بذلك المكان , تحدث معه أبي ثم أأضر بقرة كبيرة , ذو عينان كبيرتان , دفع له المال ثم تركناها لتأتي شاحنة تتكف بأمر نقلها إلى المنزل , عدنا بعدها للمنزل , جاء موعد الغذاء , رأيت جدتي , لم تكن بحال جيد اليوم كانت مريضة , و نحن على الغذاء , نظر إليها جدي , شعر أنها ليست بخير ,

فقرر أخذها للطبيب , أكملنا الأكل ثم صعدوا السيارة و أخذها , مضت قرابة ساعة و نصف قبل رجوعهم , جاء أبي و معه جدتي , و جدي و قال ان عليها أخذ قسط من الراحة , لم يكن مرضا كبيرا لكن بعض الزكام بما أن جدتي تقارب السادسة و السبعين, بقيت جالسا بجوارها , بعض الوقت , إلى ان شعرت بالنوم , ثم ذهبت .

الأحد

قرر جدي في هذا اليوم أن نذهب جميعا للشاطئ , بما فيهم جدتي , قال أن الامر سيخفف عنها قليلا , ذهبنا صباحا , لكن لم أخذ معي إيزو لأن العربة كانت ممتلئة , وصلنا , أخذنا موقعا , ثم جلسنا فيه , بعدما إرتفعت درجة الحرارة قليلا , قمت و أختي و دخلنا البحر , نسبح , ثم نلعب , تبعدنا بعد ذلك ابي , ثم جدي الذي إكتفى ببعض الغطسات , أمي و جدتي بالشاطئ تقومان بحراسة أشيائنا , جاء موعد الطعام , أخذنا أبي إلى مطعم قرب الشاطئ , يقدم جميع أنواع الأسماك , السردين و الكثير , دخلنا إليه ثم جلسنا , جاء النادل , سألنا عن طلبنا , قال أبي , طبق مليئ من هته الانواع كان يقولها وهو يشير إلى الورقة على الطاولة , ذهب النادل و جلسنا هناك ننتظر , الجو حميل هنا و هادئ , كنت أجلس بجانب أختي التي كنا نضحك معا و بالجانب الآخر أبي و جدي ثم أمي و جدتي , جاء موعد تقديم الطعام , جاء النادل و معه الخبز , و المشروب , تركهم ثم عاد ليحضر لنا الطبق , جاء و هو معه , طبق كبير بجميع أنواع السوك , سردين , قريديس , أصناف لم أرها من قبل , و الصلصة , بدأنا ناكل , أعجبنى الأكل حقا , لم أكل شيئا مثله في يوما ما , كم شيئ آخر

سأجربه في هذا اليوم , وضعت قليلا من الليمون على السردين ليبدووا لذيذا , بدأت أكل القريدس , و الذي أعجبني حقا , جاء وقت دفع الفاتورة , كان من سيدفع هو جدي , اخرج المحفظة ثم أخرج مالا و ناوله للنادل , خرجنا بعدها , كانت وجبة رائعة حقا , ركبنا بعدها السيارة , شغل أبي المحرك , إنطلقنا راجعين للمنزل , لقد تحسنت حالة جدتي كثيرا , وصلنا المنزل مع أذان الظهر , صليت ثم قمت كالعادة , أشاهد التلفاز لحين أذان العصر , و الذي كان مناسباً للعب مع إيزو , أخرجته من الحضيرة ثم بدانا نلعب مع بعضنا امام المنزل , خرج الجار سعيد , وبدأ يصرخ علينا , انت يا ولد لا تعي كم أكره صوت الخرفان إنه يشعرني بالكثير من الإشمئزاز , فالتغرب عن وجهي أنت و ذلك الخروف السخيف , أسمعت , يا فتى آخر مرة أريد أن ارى فيها هذا الحيوان القذر . دخلت المنزل , سألني جدي قلت أن سعيد قام بالصراخ علي , خرج و أنا و إيزو ورائه , وصل منزله و بدأ بمناداته , سعيد ... سعيد , خرج ثم قال لجدي أنني أشكل إزعاجاً له , قال جدي , إذ لم تتركه وشئنه هو و خروفه , فلن تحب وجهي الثاني , أسمعت , أم أنك اصم , أترك الولد و خروفه يلعبان و كفاك عواء , نظر سعيد لجدي نظرة حادة , ثم عدنا بعدها لبيت , قال لي جدي أن سعيد رجل يكره كل أوجه السعادة , أينما كانت , فهو يكرهها , رؤيتك مع هذا الخروف تلعبان , يشعرانه بنوع من الوخز , لا تدعه يفسد يومك , شخص كهذا كفيل بتدمير إنسان كامل داخليا , قلت حسنا جدي , لكن لماذا تفعل كل هذا لهذا الخروف , قال , أخبرتني أن أعطيك هدية , فكانت هذه هي تلك الهدية , أردتها أن تكون كاملة , لهذا أريد أن تحصل على أتم

السعادة منها و معها, و لو كلف الأمر الصراخ على بعض الأشخاص , قلت حسنا جدي شكرا لك , هدية كهذه لن أنساها يوم ما إطلاقا , قال , أتمنى ذلك , وجدنا أمي قد حضرت لنا الشاي , جلسنا نشرب , شاي بالنعناع مع زبدة و مربى و شكولاتة مع قليل من المكسرات , لم يكن ابي بالمنزل , ذهب هذه العشية ليحضر البقرة ولم يأتي بعد , ستكون أفضل شئى لنا , بقرة نشرب بها الحليب وقت ما شئنا , و نأكل الزبدة , و نشرب اللبن , سمعت صوت سيارة بالخارج , تركنا أنا و أختي كأسينا , وخرجنا مسرعين , رأينا البقرة و هو يدخلها الحظيرة , بقيت أتتبعم , لحين ربطها مع الحائط , ثم ذهب ذلك الرجل بشاحنته , بقيت طول الوقت أحرق بها , رجعنا بعدها للبيت لنكمل الشاي الخاص بنا .

سيبقى إسم إيزو خالدا داخل نفسي , إيزو خروفي الجميل الرائع , كم أحبه حقا , المكان الذي أعيش فيه يفرض علي البقاء بدون أصدقاء , فمنزلي بعيد عن منازل أصدقائي , لذا أقضي معظم الوقت بمفردي أو مع أختي و إيزو .

الإثنين

الصباح أضحى بنوره علي , الشمس البراقة تغطي بنورها على الأجواء , كان أبي و جدي في الحقل يقومان بسقيه , طلبوا من أمي إحضار الشاي لهم إلى الارض التي يعملون فيها , كلفتني أمي بتلك المهمة , مع العاشرة , أمسكت الدلو الذي كان يحوي إبريق شاي مع كأسين , مربى , شكولاته , زبدة البقرة , خبزا , بيض مسلووق و في الأخير قنينة ماء , الدلو كان ثقيلًا , لذا ذهبت معي

أختي تحمل القنينة , ذهب معنا إيزو أيضا خرجنا من المنزل ثم عبرنا الطريق , وصلنا إلى الطريق الترابية المؤدية إلى أبي وجدي , تمشينا قليلا ثم وصلنا , حين رأى أبي الأكل ترك العمل هو وجدي ثم جاء إلينا , شمس اليوم حارة , جاء و جلسنا بمكان ظليل , أخرجنا الإبريق و معه الكؤووس , ثم المربي , الزبدة , البيض المسلوق ... ثم وضعناهم على الأرض هناك , أمسك كلا من أبي و جدي البيضة و بدأ بتقشيرها , كانت مهمتي هي سكب الشاي لهم , أكملنا الأكل ثم نهض كل واحد فيهم , أرجعت كل شئ لمكانه في الدلو , تركنا القنينة هناك , ثم رجعنا للبيت , أنا و أختي بالغرفة نرسم , رسمت قمرا و نجوما أما أنا فرسمت ابي و جدي وهم يعملون بالحقل , جاء بعدها جدي و أبي بعد أن أنهيا العمل , كان موعد الظهر , منظر جدي ذو وجه شاحب و أصفر سألته فقال ان الشمس أثرت عليه , كما أعلم أن جدي مصاب بمرض بالقلب , و ضغط الدم , ذهب إلى غرفته ثم إستلقى هناك , بعد مدة اخذت له أمي الغذاء , و جدتي بظهرها الشبيه بالقوس تحاول المساعدة لكن تطلب أمي منها التوقف , في العشية ساء حاله جدا , حرارته إرتفعت للثامن و الثلاثين , لا ياكل كثيرا , أراد أبي أن يتصل بالطبيب لكن جدي أخبره بأن الأمر ليس بهذه الصعوبة , في بعض الأحيان يتقيئ , كل أهل المنزل شعروا بالحزن لمرض الجد فالجد هو ركيزة العائلة , غياب الجد عن طاولة الطعام لهو نقمة كبيرة , الجد و الجدة , لا يمكنني تخيل العالم من دونهم , لم يعد جدي قادرا على الذهاب للمرحاض , كانت أمي تحضر شيئا ليقضي حاجته فيها , أصبح كلامه تحت شفاهه , وجنتيه أشعلت نارا , حمراء كشمس تغرب , شفاه زرقاء كضلمة

المحيط , رغم حرارته العالية , إلا أنه يشعر بالبرد أحيانا , كل هذا بسبب أشعة الشمس , لكن لنوع من الأشخاص كجدي فالأمر يعكس الكثير بالنسبة للأشخاص الذين يعانون من هذا النوع من المرض .

الثلاثاء

حالة جدي أصبحت أسوء , ننظر إليه و الدموع لا تكاد تفارق أعيننا , مع الظهيرة , حان الوقت , كلنا مجتمعين حوله في غرفته , الكل يبكي , اللحظة الأخيرة مع جدي , و نحن بمجمعنا هذا , نادى جدي أبي , ذهب إليه , قال له كلام , أنت هو رب العائلة الآن , كنت أتمنى رؤية أحفادي , حمدا لله على هذا , أنت يا ولدي , عينا أبي كبركة من الماء , قال سأكون كما قلت يا ابي , عاد أبي , تفاجئت حين ناداني , ذهبت إليه أبكي , نظر إلي بعيناه الشبه مفتوحتين , قال , حمزة , يا حفيدي الجميل , إيزو هو الشيء الوحيد الذي سيذكرك بي , إعتني به جيدا , قلت , نعم جدي سأفعل , قال , كن أنت الرجل القادم بعد ابيك , إعتني بالعائلة جيدا , قلت , سأفعل يا جدي , لكن انت , سأفتقدك , لا أريد هذا , أريدك أن تبقى , نعود لحياتنا , حين كنت تسقي أنت و أبي الجنان , و كنت أتي إليكم , أجلس معك , عد أرجوك يا جدي أرجوك , لا تجعلني وحيد , أنت شخص لا يمكن تعويضه , و على صدره كنت أبكي , هذه المرة ليس لجرح من باب الحظيرة بل بفقدان جدي , أرجوك , ... أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمد رسول الله ... جدي , جدي , لا , لا لم أستطع و لن أستطيع التقدم من دونك , دموعي بللت صدره , و كذلك دموع جدتي و أبي و أمي و

أختي , جدي مات , هاهو ذا , كل تلك اللحظات إندثرت في لحظة واحدة ,
إندثرت إلى الأبد ...

الثلاثاء , الظهرية مات جدي , مات السند و العون لي , مات مساندي , مات
من كان لي محبا ... مات ... أي حياة هذه التي نفقد فيها أعز ما لدينا .

أناس كثيرون في المنزل , بدا كمدينة لا تتوقف فيها الحركة , أحد يأتي بالأكل
و الاخر يأخذه , في هذه الليلة و التي ستكون ليلة بدون جدي , ألتف حولي
فأرى أناس يضحكون فيما بينهم , أحقا هذا هو العالم, أناس تبكي و أناس
تضحك , لم يقدرُوا مشاعر طفل مسكين , لم تكن الشهية لأكل أي شيء ,
و حدي أنظر إلى الحاضرين , عمّة أبي هناك , ذهبت عندها و التي كانت تبكي
هي أيضا , جلست معها , أصوات الفقهاء و هم يتلون القرآن في الصلاة , مع
صوت الصبية و هم يلعبون , أكره هذا الجو , أكره الجنازات , أنظر كيف
أنهم لا يكثرثون , شعرت بالتعب من كثرة البكاء , أكلت قليلا , ثم ذهبت لأنام
, وجدت أختي هناك نائمة أيضا , خلعت ملابسني , ثم قمت و أعددت فراشي ,
دخلت إليه و أخذني النعاس .

الصباح

إندثر كل من كان هناك ليلة البارحة , دخلت على عائلتي في الفطور , أمي ,
أبي , أختي , جدتي ,...., جلست و حالة الحزن لا زالت عالقة بين أوجههم ,
قالت أمي , قهوة أم حليب , كلاهما , أختي لم تستيقظ بعد , أكل و الصمت لا

زال عالقا بين شفاهي , أكملت ثم عدت إلى الغرفة , في العادة , حين أنهى الإفطار أكون متلهفا لمقابلة إيزو , نلعب معا بلا توقف , اليوم لم تكن لي الشهية لفعل أي شيء , و أنا في البيت إذ بي اسمع صوت خروف , حقا لا يمكن أن يكون إيزو , فهو بالحظيرة , خرجت , نعم إنه هو , لا أعرف كيف خرج , كان يناديني لنلعب , ذهبت إليه ثم خرجنا , الحقول الامعة تشع نورا مع أشعة الشمس , صوت العصافير يملأ المكان , عدنا بعد نصف ساعة , دخلت المنزل بعد أن أدخلته الحظيرة , دخلت الغرفة , نمت .

أسبوع

الأسبوع الأول بدون جدي , إشتقت له كثيرا , غيابه أثر فيا كثيرا , إستقضت الصباح , أفطرت , ذهبت إلى الحظيرة , لم أجد إيزو هناك , أين هو ؟ أين أنت يا إيزو , أين أنت ؟ عدت إلى المنزل أجري , أمي , أمي لم أجد إيزو بالحظيرة , أين هو , جاء ابي و اختي و امي , كانت لأبي الجرافة حيث أنه كان ينظف , خرجت أختي , وعادت شاحبة الوجه , إيزو ... إيزو ... ما به ... تكلمي ... إيزو ماالت !!!! , مات , لا يعقل , خرجت و ابي و أمي , وجدناه معلقا بأحد الأشجار و الدماء تسيل منه , رأسه مقطوع عنه تقريبا , ما هذا , كيف حصل , وقفت مصدوما , م م م مالذي حصل , إيزووووو , صرخت , لا , لا ليس أنت أيضا , ليس أنت , لماذا , لما اذا , أريد فقط أن أفرح قليلا , لماذا حصل كل هذا , لماذا ؟ , نظرنا ورائنا , كان الجار , إنه الفاعل , الجار اللعين , نعم إنه هو , أكرهه , أكره وجهه القذر , قال , هاه , حمزة , جدك ليس هنا , جدك رحل و رحلة هديته السخيفة معه , أنظر إليه و

الدموع تتساقط من عيني , قام أبي وذهب عنده غاضبا , لماذا فعلت ذلك ,
لماذا ؟ صرخ ابي عليه , أمسك المجرفة و إنهال عليه ضربا , حتى بدأت أمي
تصرخ , حتى بدأت الدماء بالظهور سقط على الارض ميتا أظن , و أبي واقف
و المجرفة بين يديه , ساد الصمت المكان , ثم نطقت أمي , ماذا فعلت ؟
السجن هو محالك , ماذا فعلت , بدأت تبكي , تبكي بحرقة , قال , ماذا
سنفعل ؟ قالت , ماذا تظن , نتصل بالشرطة ؟ قال , لا , قالت , ماذا !! قال ,
لن نقوم بأي شيء , سنبتعد فقط , قالت , لقد جننت يا أحمد , جاءت جدتي ,
من الباب , ماهذا الهرج ؟ رأت الجثة و أبي , شعرت بالبكاء , سقطت ,
فأغمي عليها , رمى أبي المجرفة , ذهب إليها مسرعا , و أمي أيضا , أخذوها
داخل البيت , دخلت معهم و جلست محاديا لها و هي مغما عليها , المنزل كأن
زلزال أصابه , أمي تجري داخله , تفكر , هل سيذهب زوجي للسجن ؟ أمي
المسكينة سيقضى عليها حين يرحل أبي أيضا , لكن لعالم الأحياء , احيان عالم
الأموات أحن من عالم الأحياء , أمسكت الهاتف ثم إتصلت بالشرطة , سمعها
أبي و جاء مسرعا , أخذ الهاتف منها , قال لها , لماذا فعلتي هذا . أمي
المسكينة من الخوف على أبي لم تعرف ما تقول ... إسمعيني , لن يحصل
شيء , أتفهمين كل شيء بخير , حسنا , كل ... لا ... لا كان ترددها و هي
تنهار باكية ... لا ... لا ليس كذاك ستذهب إلى السجن , أفهمتي , زوجي
سيذهب للسجن , كيف سأتحمل الحياة , كيف , قال و هو ينظر إلينا , و بالضبط
إلي , أنا أسف , أمي منهارة , جدتي مغما عليها , نحن مصدومان , الجثة لا
تزال فالخارج , فجأة سمعنا الصوت . صوت أحس به , صوت صافرات ,

الدرك , تقترب , تقترب , أبي فتح الباب إستدرنا , لقد حان الأوان , أصبحت دقات الحياة بطيئة في هذه اللحظة , أمسكوا بأبي و أمي تمسك به أيضا , سقطت على الأرض تبكي , كانوا يسحبونه وهو يكلمها , عزيزتي , وكلي محاميا , الأولاد و أمي , ستكونين أنتي هي ... أخذه , دخل السيارة الخاصة بهم , وهو ينظر من الشباك , إنطلقت سيارة الإسعاف التي جاءت لتأخذ الجثة , ثم إنطلقت سيارة الدرك مع الصافرات , بقينا نحن الثلاثة نحدق إلى بعضنا , مالذي جرى , أبي الآن في السجن , لم نعرف مالذي جرى , عدنا بعدها للبيت , لم تستيقظ جدتي بعد , قالت أمي , لقد رحل وتركني وحدي هنا أعاني , كيف أستطيع توفير الأكل لكم , الإعتناء بكم و بجدتكم , كيف ؟ , قلت , الله هو الرزاق يا أمي , ضعي ثقتي فيه , و سترين , قالت , نعم , إتصلت بعدها بسيارة الإسعاف , مضت ساعة و جدتي لم تستيقظ بعد , كنا ننتظر , يا إلهي سيارة الدرك أتت بتلك السرعة لأخذ ابي لكن سيارة الإسعاف تأخرة لأخذ جدتي , كيف نهتم بالقانون أكثر من إهتمامنا بمن سيطبق عليهم هذا القانون , إخلق بيئة تملئها العدوات , شاهد , و زج في السجن من تشاء , جاءت السيارة , ثم أخذو جدتي , قامت أمي و أخذتني معها , بالتاكسي , وصلنا المدينة , ذهبت إلى المستشفى لتطمئن على جدتي , وجدتها في الغرفة 204 , دخلنا عليها , كانت ممددة و الانابيب عليها , جلست معها في الغرفة , جاء الطبيب , نهضنا , تحدث إلى أمي , لقد أصيبت المرأة العجوز بشلل نصفي , لم يمكنها المشي , لكن يمكنها الكلام , تحتاج لبعض الوقت هنا , صدمت أمي مما قال الطبيب , ماذا ؟ شلل !!! , خرج الطبيب , و تركنا هنا مع جدتي , فتحت

عينيها , ذهبت إليها و أمي , جدتي , أنتي بخير , قالت , نعم لكن لا أقدر على تحريك رجلي قالت لها أمي " أنتي بخير , الحمد لله , رجلكي مشلولة كما قال الطبيب , لقد أصبتي بشلل نصفي , " قال جدتي " ماذا !!!! شلل "

قالت " نعم" دخل الممرض , وقت الزيارة إنتهى , خرجنا من المشفى , نتمشى وراء أمي , هذه أول مرة تذهب وحدها للمدينة , خائفون , لسنا معتادين عليها , المدينة أشبه بمقبرة الأرواح , وصلنا إلى احد العمارات قرأت " المحامي عزيز الأحمدى" صعدنا إليها , الطابق الأول , الطابق الثاني , الطابق الثالث , أخيرا وجدناه , دخلنا لحسن الحظ كان هناك , جلسنا مع الطابور , ننتظر , انظر إلى المكان , مكان ضيق و ممل , لونه رمادي يصيبني بالكآبة , إنتظرنا ساعة كاملة , جاء دورنا ثم دخلنا , أهلا , كيف أخدمكم ؟ قالت أمي " زوجي متهم بجريمة قتل و هو الان في السجن , أرجوك أخرجه " قال " لماذا ؟ لماذا فعل هذا ؟" قالت " قتل جارنا خروف صغير كان لهذا الولد , أشارت لي , غضب الأب كثيرا ثم فقد السيطرة على نفسه , أمسك المجرفة ثم قام و إنهال عليه بالضرب حتى قتله " قال " إذن سبب الجريمة هو غضب الأب من مقتل الخروف , أو ما كان ذلك , حسنا لنرى , لديه زوجة و أطفال , كم عمرهم ؟" قالت " حمزة هذا في العاشرة , أخته كوثر في السابعة , " قال " ربما قد يخفون عليه العقوبة لكن من المستحيل أن يطلقو صراحه , أقصى مدة عشرين سنة " قالت و هي مصدومة " عشرين سنة , لا يمكن , أرجوك , سأدفع كما تشاء " رأيت نظرة المكر على وجهه , قال " عشرون ألف درهما مسبقا " قالت " لا يمكنني , أرجوك , أرجوك " قال " لنجعلها عشر آلاف و

خمسون درهم " قالت " لا , لا يمكنني دفع كل هذا المال لك , أنت ترى حالتي , امرأة تم القبض على زوجها بجريمة بشعة " قال " لا أحد سيصدق أن زوكي هذا قتل ذلك الرجل بسبب خروف , قد تكون هذه أسوء كذبة يمكنني كذبها في المحكمة " قالت , لكنها الحقيقة " إلتف بكرسيه و هو يقول " عشر آلاف درهم " قالت , لاكن... حسنا " قال " كم عجلتي بجلب المال يكون عملي لكي مفيد , لكن , أخبريني أنكي لا تكذبين , و لما تفعلين هذا ؟ أنا محاميه , أنا هنا للدفاع عنه " قالت " أقسم لك , إنها الحقيقة " قال " واو , حسنا يمكنكم الإنصراف الآن , الأب قتل , ماكان " قالت , جاره , الأب قتل جاره لأنه قتل الخروف , قالت , الخروف الذي أهده جده لحمزة , جده الذي مات قرابة أسبوع , قال , حسنا , إلى اللقاء , خرجنا من المكتب نزلنا الدرج , طابق ثالث و ثاني ثم الأول , خرجنا من العمارة , علينا التوجه بعدها إلى أبي , أخذنا تاكسي , وصلنا مغفر الشرطة الذي كان ابي به , وضعوه هنا لأن المحاكمة ليست بعد , ادخلنا الحراس , رأيناه و هو بحالة يرثى لها , جلسنا معه , أهلا , لقد إشتقت لكم , أبي لقد إشتقنا إليك , ستبيت الليلة هنا و غدا ستعود للمنزل صحيح , صحيح يا أبي , كان هذا كلام أختي و ليس أنا , قال , أتمنى لو كان العالم بعيون الأطفال , نرى الأشياء الجميلة فقط , نظر إلى أمي و قال " ماذا فعلتي بخصوص المحامي " قالت " ذهبنا إليه , قال أن الأمر سيأخذ العشرة آلاف درهم مقدما , لم يصدق القصة التي سردتها عليه , أعني يا زوجي , عشرة آلاف , هذا جنوني , من أين لي كل هذا المال ؟ من أين , قال , أمتلك , خمس آلاف درهم داخل أحد الرفوف في غرفة نومنا , بجانب ملابسي ,

ستجدين ذلك الرف , إفتحيه , ستجدين خمس آلاف , هذا كل ما عندي , أرجو أن يفني بالعرض , قالت , أحسن من لا شيء , إنتهت ساعة الزيارة , أتى الحارس ثم أخرجنا , عدنا بعدها لبيتنا , نحن الثلاثة فقط , أختي , أنا , أمي , كان العصر قد حل , كان هذا هو الوقت لعبي مع إيزو , الآن فقدته , العالم اسود من دونه , مضى هذا يوم , شعرت بالتعب الكثير جراء المشي الذي أجريناه اليوم , كانت أمي في غرفتها , أخرجت المال الذي قال لها أبي عنه , أخذت أيضا سلسلة ذهب كانت لديها , كانت أمي ستفعل أي شيء لأجل خروج أبي من السجن , خلدت إلى النوم سريعا , انساني التعب حزني .

غذا

ذهبت أمي إلى المحامي , أعطته المال , قال أنه سيسهر على خروج أبي , المحكمة بعد يومان , سيقضي أبي هذه الأيام المتبقية لدى سجن الشرطة . اليوم كان هادئا , لا كلام لسعيد , أرجاء المنزل الكبير فارغة , كأننا أشباح , تستطيع معرفة اي شخص بالبيت من خلال صوت نعاله , الظهريرة , تغذينا , ثم ذهب كل منا إلى غرفة , ذهبت إلى غرفة جدتي و جدي , جلست هناك , أتحسس ملمس الأغطية , أتذكر كيف كان جدي هنا , و الآن الغرفة بلا اصحابها , ميتة , غفوة هناك قليلا , فهذه الغرفة تشعرني بالراحة أكثر من أي منزل في هذا البيت .

كلمات ذلك المعلم الغير مفهومة , بدأت أستوعب البعض منها الآن , النسيان أسوء ما قد يصيب المرء , ذاكرتي ستنسى جدي , ستقوم بتفريغ تلك المساحة

لأشياء أخرى , لا أتصور أن مساحة جدي في مذكرتي قد تمسح وتستبدل
بتذكري لإمتحان أو درس.

اليوم التالي

اليوم هو يوم خروج جدتي من المستشفى و ذهبنا إليها صباحا , أحضرنا لها
كرسيا متحركا , ثم عدنا بعدها للمنزل , جدتي لا تتحرك , لا تمشي ,
أصبحت مشلولة , أمر محزن كثيرا أن أراها على هذا النحو , كانت أمي تأخذ
الطعام إليها , و أحيانا تأتي بالكرسي لتأكل معنا , أمي تعيش حياة سيئة ,
عليها التكفل بجدتي و بنا نحن , الأمر صعب جدا .

الظهيرة , إتصل المحامي , قال انه يرغب بالمزيد من المال , لم تعرف ما
ستفعل , غذا المحكمة , قضينا يومنا هذا بشكل عادي , لكن المنزل تغير بشكل
كبير جدا , حل الليل , تعشينا , و أنا ذاهب للغرفة مررت على ردهة المنزل ,
أصبح المنزل فارغا , قبل شهر كنا هنا نضحك و نلعب , إنقلب كل شيء ,
أكملت طريقي إلى الغرفة , دخلت و رأيت أختي هناك تبكي على أبي , جلست
معها , ماذا بكى ؟ , أبي , أبي لن يخرج من ذلك المكان حتما , إشتقت له ,
كيف لي تحمل يوم آخر من دونه , كيف ؟ , قلت , المحامي سيقوم بعمله , و
سنرى أبي قريبا قالت , حقا , قلت , نعم , أخبر المحامي أمي بأنه قائم على
هذا الملف و أنه يعمل ليل نهار لأجل إثبات براءة أبي , أبي سيصبح حرا ,
قالت , كم هذا رائعا , أتمنى فعلا ذلك , يا الله كم إشتقت إلى أبي , إشتقت إليه
كثيرا , ليته معي الآن , مسحت الدموع من على عينيها , وقلت , كل شيء

سيكون جيدا في الصباح , قالت , أخي , أصبحت اخاف النوم هنا , لماذا لا ننام هذه الليلة مع أمي , منها نبعد الخوف و نئانسها , قلت , حقا؟ قالت نعم أخذنا فراشنا ثم توجهنا إلى غرفة أمي , لم تكن هناك , وجدناها عند جدتي , كانت نائمة معها إن إحتاجت لشيء ما , دخلنا الغرفة ثم وضعنا فراشنا , ثم نمنا .

يوم المحكمة

سيداتي سادتي بسم جلالة الملك , نفتح الجلسة , الملف عدد عشرين ... أكمل القاضي كلامه ثم قال , أحمد شغاري , أنت متهم بجناية القتل العمد , العقوبة ... هل لك شيء لتقوله , قال أبي , أقسم أن هذا الجار قتل خروف لإبني أهده له جده بمناسبة عيد الفطر , شعرت بالغضب , قال القاضي , ولما قد يقتله ؟ قال أبي , حقد و كره للأطفال , منذ ماتت زوجته و هي تلد و معها إبنه , حزن عليها بشكل كبير , و أظن أن هذا هو سبب كرهه للأطفال , رأيت المحامي يقوم بتصنيف أوراقه , أمره القاضي ان يتكلم , وقف وقال

السيد القاضي , السادة المستشارين , إن أحمد هذا رجل محترم و لا يمكنه القيام بهذه الأمور , لكن غضبه من الجار جعله يفعل ما فعل , نرى أيضا من جهة أخرى أن فرق البحث وجد الخروف مقتولا على الشجرة , أهذا دليل كفيل بإثبات كلام هذا الرجل , و بالحديث عن العقوبات , الرجل يملك عائلة , إبنه في العاشرة , إبنته في السابعة ثم زوجته , فالزوجة المسكينة لن تجد مالا لها , ستعيش العائلة أسوء أيامها بدونه , لذا أقترح تخفيف مدة الحكم إلى عشر

سنوات أو أقل , و لحضرتكم واسع النظر , تكلم أحد الأشخاص من
المستشارين , سيد عزيز , ما تقوله أمر غريب , المتهم في أقصى حالات
التخفيف قد تصل إلى عشرين سنة , عشر سنوات , أحقق أنت , أجابه , إن
كنت كنت أحقق فأنظر لنفسك الذي أراد إدخال الأب ذو طفلان للسجن , قال ,
ممكن أن أحصل على بطاقتك , إرتعب المحام , بطاقة ؟ أية بطاقة , وقف
المستشار بقوة , بطاقة المحاماة الخاصة بك , بلع عزيز ريقة و بقي صامتا ,
رد المستشار , هاه , محامي ؟ , نظر الحمامي إلينا , رأيت نظرة الضعف ,
قال القاضي , إن كنت محاميا من غير ما يثبت ذلك , فعليك مغادرة المحكمة
الآن , أسمعت , جمع المحامي أوراقه ثم توجه خارجا , ماذا سيحدث لو لم
يكن هناك محامي للدفاع عن أبي , هل سيدخل ابي السجن , سألت أمي أحد
الحضور هناك , قال , أنهم سيأخذون نظرا لما قاله , فسيأخذون بأخر ما قاله ,
أي أعني , أن زوجي سيدخل السجن , وقف القاضي و قال , حكمت المحكمة
على المتهم أحمد شغاري بالسجن لمدة عشرين سنة , إنهال أبي هناك باكيا , و
أمي أيضا و هي قائمة نحوه , أوقفها الشرطي و هي تصرخ بين ذراعيه ,
أخذوا أبي من المحكمة إلى السجن المحلي , خرجنا من المحكمة , لم نكن
نتوقع هذا , المحامي الآن أصبح خارج عمله , المال الذي أضعناه على أبي
ضاع منا , نتمشى بين شوارع المدينة السوداء , ننظر خلفنا , أمامنا ,
بجانبنا , لا شيء سوى صوت المشاة على الطريق , الزمن في حزن الحياة
ميت , الوقت أصبح يقاس بالسنين , سيارة تذهب , سيارة تمشي , هذه هي

المدينة , بلا روح , بلا قلب , قاسية , حقودة على كل شخص يدخل إليها , نعم
إنها المدينة , غريبة .

نمشي و ننظر وراءنا , أبي لقد رحل .

إيزو

الجزء الأول من الرواية
من الكاتب حسن بشيري
اتمنى أن ينال الكتاب حبكم ,

إنستغراممي : hassan_bach12

أحبكم

HSN BHR

جميع الحقوق محفوظة